بسم الله الرحمن الرحيم

شبكة المعلومـــــات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

﴿ قـــسـم ﴾

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها
علي هذه الأفلام قد اعدت دون آية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأفلام بعيداً عن الغبار

في درجة حرارة من 15 – 20 مئوية ورطوبة نسبية من 20-40 %

To be kept away from dust in dry cool place of
15 – 25c and relative humidity 20-40 %

بعض الوثائق الأصلية تالفة

بالرسالة صفحات

لم ترد بالأصـــل

جامعة القاهرة

كلية دار العلوم

قسم البلاغة والنقد الأدبى والأدب المقارن

توظيف التراث الصوفى فى الشعر العربى المعاصر

فى

مصر فى النصف الثانى من القرن العشرين

رسالة دكتوراة

إعداد / قطب عبد العزيز بسيونى

إشـــــــراف

أ.د/ على عشرى زايد
أستاذ البلاغة والنقد الأدبى
والأدب المقارن بالكلية

أ.د/ عبد الحميد مدكور
أستاذ الفلسفة الإسلاميةبالكلية

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٩٠٢٨ β

المقدمة

موضوع هذه الدراسة : " توظيف التراث الصوفى فى الشعر العربى المعاصر فى مصر فى النصف الثانى من القرن العشرين "وهو موضوع على ما يبدو من اتساع أفقىّ فإنه لا يغفل الدراسة الرأسية التى تشكل الجانب الحيوى والفنىّ منه . ذلك أن ظاهرة التراث الصوفى فى الشعر المعاصر لم يقتصر الشعراء على استدعائها، واجترارها من الماضى، بغرض تمثلها واحتذائها وبعثها ، بل تحولت فى وعى شعراء تلك الحركة الشعرية المعاصرة إلى بنية أساسية ذات قيمة إيحائية وفكرية ودلالية ،ولم يعد القارئ الحصيف ينظر إلى أصلها التراثىّ فى ثرائه وعمقه بقدر ما يستبطنها جمالياً وفنياً . كما أنها اكتسبت على أيدى شعراء تلك الحركة تنوعاً فى التعبير وعمقاً فى الإيحاء، نقلها من أداة فنية بسيطة إلى رمزية معاصرة توحى بالألم الإنسانى ووقع اللحظة الحضارية على وجدانه .

وليس من هم هذه الدراسة أن تقدم رؤية تاريخية ترصد فيها تطور ظاهرة التراث الصوفى فى الشعر المعاصر من جيل إلى جيل ،أو تستقصى مدى انتشارها ، وتنوعها عند أعلام شعرائها ،بل تُعنَى - فى المقام الأول - بتحليل الأبنية اللغوية والفنية ، بغية الكشف عن مناهج الشعراء فى توظيف هذا النوع من التراث ،وما أضافه الشاعر من دلالات معاصرة إلى الأصل التراثى .إذا ليس التفكيك أو التحليل فى ذاته هو الغاية ،بل هو وسيلة للكشف عن علاقات فنية كامنة فى خصائص التركيب الشعرى ،ووعى الشاعر بمدى توظيفه لتلك الخصائص والأدوات الجديدة .

وهى على ذلك رؤية كشفية ارتيادية لا تقول كل شئ عن أصول وتوظيف هذه الظاهرة التراثية الرحبة ، بل هى محاولة لتعبيد طريق فى تضاريس وعرة ، وتعرجات شاقة تمهد لمن يسير عليه متابعاً تلك الظاهرة

فى تطورها ونمائها لأن الإقبال الشعرى على توظيف التراث الصوفى فى الشعر يزداد كل يوم، والتفنن فى استخدامه يكتسب عمقاً وثراء، بمقدار زيادة وعى الشاعر المعاصر وحرصه على تراثه، ورغبته فى كشف أدوات شعرية جديدة .

كما تتنامى هذه الرغبة كلما أحسَّ الشاعرالمعاصر بضآلته أمام تحديات العصر ، وزيادة مشكلاته، وغموضه، وتعقيده وازدواجية معاييره القيمية والروحية، وخاصة عندما يشعر بإنتمائه إلى واقع تمزقه الصراعات السياسية والروحية، بعد امتلاكه لأسباب القوة وعناصر الحضارة التى أضاءت جنبات العالم لقرون متطاولة .

وظاهرة التصوف وتوظيفه فى شعر هذه المرحلة، لا تسير فى خطوط مستقيمة يسهل على الباحث رصدها وتأويلها والحكم عليها ،بل تتخذ مسارات متعددة ،وأشكالاً فنية متنوعة .فكل شاعر يستدعى الموروث الصوفى استدعاء خاصاً ، ويوظفه بطريقة فنية يخضع لوعيه ،وثقافته وقدرته على تشكيله فى بنية القصيدة بحيث يؤدى غرضاً فنياً محدداً ،كما أنه يتنوع فى تجربة الشاعر بتنوع قصائده .فكل قصيدة تطرح بنية خاصة ؛لها قوانينها الفنية التى تميزها ،وعلى هذا يتخلق بتخلق البنية ويخضع ـ ضمن وسائل فنية عديدة ـ لروح القصيدة وأهدافها .

بهذه الرؤية لا يستوى الموروث عند شاعر واحد على نهج فنىّ محدد،وبالقدر نفسه يختلف نوع الموروث الصوفى وكمه فى نتاج كل شاعر، فمنهم من يفرد له مساحة تستغرق أكبر قدر من نتاجه حتى يبدو -عند بعضهم وكأنه يؤسس لكتابة شعرية صوفية جديدة .

وهنا يكون الأمر صعباً ليس على القارئ فحسب ،بل على الباحث الأكاديمى الذى يتوخى الكشف عن تلك الظاهرة ،ورصد أبعادها الفنية، فعليه أن يقرأ قراءة نقدية واعية وينخل ما قرأ بدقة ،ويرصد ما وقع فيه التوظيف الفنى بعد الاختيار والتحليل ،ويستبعد ما يراه عبئاً على القصيدة .لأن هناك من الشعراء من يهدف إلىتحول لغته الشعرية إلى لغة صوفية . وينسى أن العملية الشعرية فى جوهرها توازن بين عناصر متنوعة تذوب فى وعى الشاعر لتخرج لوحة متوازنة الأبعاد والنسب .

ومن الشعراء من يأتى الموروث الصوفى فى شعره هزيلاً ضعيفاً لا يقوى على حمل دلالة جديدة أو إيحاء بمعنى محدد ،أو رؤية فنية جديرة تكشف عن وعى الشاعر بخصوصية توظيف هذه الوسيلة الفنية الرحبة ، ويعزى هذا إلى لونٍ من ألوان التقليد الفنىّ ، أكثر منه قناعة شعرية.

وليس هذا الحكم على إطلاقه عند كل الشعراء ،بل العكس أقرب إلى الصواب ـ عند القلة ـ وهم الذين تعمقوا فى خوض بحار الموروث فزاد تعرفهم على مسالك توظيفه والإفادة منه ،وهم ما سيتم التركيز عليهم فى هذه الدراسة .

وبين هذا المدّ والجزر فى كمّ التوظيف الصوفى ونوعه ،نجد أنفسنا مضطرين إلى الاختيار، وهو اختيار صعب إذ يلزمه فرز معظم التجارب الشعرية التى تقع فى إطار تلك المرحلة الزمنية المختارة وأخذ ما يتوسم فيه الجدارة بالبحث والتحليل، بغرض خدمة العمل العلمى وإثراء جوانبه ،ونفى ما نراه تهميشاً أو تقليداً أو محاكاة .

ولقد ضم هذا البحث ـ بناء على هذا الاختيار الصعب ـ تجارب كل من محمود حسن إسماعيل ،وصلاح عبد الصبور ،وطاهر أبى فاشا،وفاروق شوشة، وأحمد سويلم ووفاء وجدى وعبد المنعم عواد يوسف ومحمد أحمد

صوفى بغية الكشف عن توظيفه فنياً وجمالياً . وهذا أمر ليس بالهين أو اليسير ،ذلك أن التجربة الصوفية تأتى مبثوثة فى تضاريس القصيدة ممتزجة بنسيجها الشعرى امتزاجاً عمقياً يصعب معه ـ عند بعض الشعراء ـ فك رموزها أو تصنيفها أوردها إلى أصول محددة .

إن بعض الشعراء لا يكتفى بالتوظيف الفنى والجمالى ،أو استخدام الموروث الصوفى وسيلة تعبيرية ،بل يحاول تطويعه للتعبير عن رؤية فلسفية عميقة تحتاج إلى وسائل متعددة لكشف أبعادها الفنية والروحية والدلالية ،لأن الموروث الصوفى فى تلك الحالات يكون قد امتزج بغيره من الموروثات الأخرى مثل الموروث الأسطورى والأدبى والتاريخى والفولكلورى وغيره ،وذاب كل هذا فى وعى الشاعر ليخرج سبيكة يصعب تحليلها أو إرجاع عناصرها إلى أبعادٍ محددة. وإزاء هذا التركيب يظل جهد الباحث محصوراً فى إطار التخمين أو الحدس أو إثارة الحوار حول العمل الشعرى دون الوصول إلى قناعة فنية أو رؤية أو شيئ من اليقينية الأدبية.

فإذا ما أضفنا إلى هذه الصعوبة غموض كثير من التجارب الشعرية المعاصرة، فإن الأمر يصل إلى حدّ الانغلاق عند بعض الشعراء ولا يبقى سوى اجتهادات الباحث ورؤيته الخاصة فى فك طلاسم هذا الغموض . وليس هذا من قبيل التيئيس أو العجز أو تضخيم دور الباحث بقدر ما هو واقع ملموس تؤكده تجارب الشعراء على اختلاف مشاربهم واعترف به كثير من الباحثين والنقاد .

أما عن تجليات ظاهرة الموروث الصوفى فى التجربة الشعرية الحديثة فإنها تتخذ مسارات متعددة تبعاً لطبيعة الموروث والدلالة التى يطمح إليها الشاعر، فقد يكون الموروث فكرة أو حالة روحية معينة أو شعوراً غامضاً أو رغبة نفسية أو إحساساً بالتجاوز او استشرافاً لعالم روحى مطلق أو

رغبة فى التوحد أو الفناء عن ذات مادية أو تشاؤما أو نزوعاً إلى تبصر معين للإشياء وكشفا لعوالم غيبية . وقد يأتى الموروث فى شكل أدبى (شعراً أو نثراً) أو شخصية صوفيةأو دينية يستبطن الشاعر فيها الجانب الصوفى أو خطاب (كما فعل النفرى) أو خيال روحى استشرافى (كما فعل ابن عربى). أو قد يبدو المروروث فى صياغه تركيبية معينة أو حكمة أو مثل أو أى شكل من أشكال اللغة المجازية والرمزية و الإشارية التى يصعب أحصاؤها فى أبنية لغوية محددة .

والشاعر إزاء هذا الكم الهائل لا يوظف أى شكل من عناصر هذا التراث إلا إذا رأى فيه شيئاً من ذاته أو تماثلاً فى بعض المواقف أو تشابها فى بعض الأفكار، فهو يختار الأداة التعبيرية القادرة على حمل رسالته إلى القارئ أو المتلقى أو التى يراها مناسبة للتعبير عن رؤيته الفنية والفكرية والروحية ،لكنه لا يستدعيها لمجرد الاستدعاء الذهنى أو التاريخى ،بل هو يؤولها تأويلاً خاصاً يتناسب مع فكرته ويحملها دلالات جديدة فى صياغة أدبية جديدة .

وتبعا لهذا التنوع فى الموروث الصوفى فإن الدلالات التى تنبثق من طريقة توظيف هذا الموروث العميق لا تقف عند حدود فكرية معينة، وهذا يتوقف على موهبة الشاعر وقدرته على استخدام تلك الأداة الشعرية الرحبة، فكلما كان الشاعر عميقاً فى تفكيره وثقافته اختار الأداة القابلة لحمل أكبر قدر من المعانى والدلالات ، وكلما كان الشاعر موهوباً تفنن فى صياغة هذا الموروث حتى يبدو رمزاً يشع فيضاً من الدلالات الروحية والنفسية والفكرية.

وعادة ما تأتى الدلالات الكلية فى إطار الهمّ الذاتى أو القومى أو الإنسانى ، فتبرز فى شكل روحى أو اجتماعى أو سياسى أو نفسى أو تأملى

أو جمالى ، لكن هذه الدلالات العامة أو المحاور الرئيسية فى تشكيلها تنتج العديد من المعانى والدلالات الفرعية ويصاحبها مستويات متعددة من الأحاسيس والمشاعر الروحية والنفسية التى تنبثق من اختيار الموروث وطريقة صياغته .

وطريقتنا فى هذا البحث هى الكشف عن مناهج الشعراء وطرائقهم فى استخدام الموروث الصوفى ورصد الدلالات التى تفيض منه . وهذا لا يتأتى إلا من خلال تحليل الأبنية اللغوية والتراكيب الشعرية التى صيغ الموروث من خلالها والمقارنة بين أصولها الروحية وما اكتسبه من دلالة شعرية وطاقة تصويرية وتعبيرية .

ولهذا يأتى المنهج من طبيعة الموضوع نفسه وما يتطلبه من طرائق متعددة تجمع بين التحليل والتفسير والبناء والتأويل والمقارنة والنقد ،وهذا يتطلب العودة إلى المصادر الأولى للوقوف على أصول هذا الموروث وكيفية استدعاء الشاعر له وطريقة توظيفه له . كما يتطلب الاستنارة والاستشهاد بآراء الباحثين والمتخصصين فى الدرسات الأدبية والنقدية والصوفية والفلسفية.

ولقد أفاد البحث من دراسات سابقة فى المنهج والتحليل والرصد، منها الدراسة الرائدة التى قام بها الأستاذ الدكتور على عشرى زايد " استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر "حيث قدمت هذه الدراسة منهجاً متميزاً فى استدعاء وتحليل وكشف طرئق الشعراء فى تناول الشخصيات التراثية ، وأفردت فصلاً حول الشخصيات الصوفية التى استهوت الشعراء فى استدعائها وتوظيفها.

كما أفاد البحث من دراسة الدكتور محمد مصطفى هدارة "النزعة الصوفية فى الشعر العربى المعاصر ". حيث تناول فيها أهم الظواهر الفنية الصوفية التى اتكأ عليها الشعراء فى التعبير عن رؤاهم الاجتماعية والروحية ،وتناول نتاج مجموعة من شعراء الوطن العربى الذين اهتموا بالتراث الصوفى واتخاذه وسيلة تعبيرية عن موضوعات وأزمات معاصرة .

كما أفادت الدراسة أيضاً من بحث بعنوان "الشعر والتصوف "للدكتور إبراهيم محمد منصور . حيث قدم دراسة جادة للأثر الصوفى فى الشعر العربى المعاصر (١٩٤٥م-١٩٩٥م) .ولكنه لم يقتصر على الشعراء المصريين بل انتقى من شعراء الوطن العربى من رآه مغرماً بتوظيف هذا اللون من التراث، فتناول عبد الوهاب البياتى ـ وأدونيس وصلاح عبد الصبور ومحمود حسن إسماعيل ومحمد الفيتورى ومحمد عفيفى مطر وأفرد فصلاً خاصاً لشعراء الحساسية الجديدة تحت عنوان " شعراء النوابت ".

لكن منهجه اختلف عن منهج دراستنا حيث ركز فيه على الجانب النظرى أكثر من التحليلى ، وأفرد الجزء الأكبر منه لدراسة التصوف ممزوجاً بالفلسفة القديمة والمعاصرة . وتناول كل شاعر بدراسة مستقلة ونتائج مستقلة ، بعكس دراستنا حيث تناولت الظواهر المشتركة عند الشعراء المصريين ،وركزت على الجانب التحليلى أكثر من الجانب النظرى، وحاولت أن تبلور نتائج عامة لكل شعراء المرحلة، وتوسعت فى اختيار الشعراء حتى شملت مستويات وأجيالا متعددة تتضح الظاهرة التراثية من خلال نتاجهم، فهى دراسة رأسية تحليلة إذا ما قورنت بدراسة الدكتور إبراهيم محمد منصور . وليس هذا من قبيل القدح فى الدراسة السابقة ، فالباحث بذل جهداً جباراً وأضاء جوانب متعددة فى تناول الظاهرة الصوفية عند أبرز شعراء الوطن العربى وأشهرهم وقدم بحثاً رائداً فى هذا المجال

وقدم أسلوباً جذاباً فى العرض ، ورؤية فلسفية عميقة لكنه توسع فى الخريطة الشعرية فجاءت دراسته أفقية انتقائية .

كما أفاد البحث أيضاً من دراسة بعنوان " توظيف شخصية الحلاج فى الشعر العربى الحديث " للدكتور مختار على أبو غالى كلية الآداب جامعة الكويت ، حيث تناول شخصية الحلاج من جميع جوانبها الروحية والسياسية وقدم دراسة جادة عن الشعراء الذين تناولوا الحلاج فى أعمالهم الشعرية والمسرحية، فجاءت دراسته مركزة مكثفة حول شخصية لها أهميتها فى الشعر العربى الحديث ،وكان لابد أن تشتمل دراسته على مدارس متعددة فى العصر الحديث ، ورغم ذلك فقد جاءت متميزة فى جانبيها النظرى والتحليلى.

أما عن تقسيم هذه الدراسة إلى محاور رئيسية ،فقد جاءت فى ثلاثة فصول، تناول الفصل الأول : الدراسة النظرية عرضنا فيه للتجربة الصوفية باعتبارها مصدراً أساسياً للبحث كله، ومنطلقاً لفهم أصول العلاقة بين التجربة الصوفية والشعرية ، وركزت الدراسة على تعريف التجربة الصوفية وخصائصها الروحية واتجاهاتها الفلسفية .

ثم عرض البحث لدراسة العلاقة بين التجربة الصوفية والشعرية الحديثة من زاوية مفهوم الشعراء للموروث الصوفى ، وعرضنا آراءهم مع تطبيقات تحليلية على أشعارهم . ثم انتقل البحث لدراسة الرمز بين التصوف والشعر، لأنه من القواسم المشتركة بينهما ،وهذا ما استدعى التوقف مع دراسة النزعة السريالية واتصالها بالتصوف ،وانتهى الفصل بعرض موجز لصوفية الحداثة عند أصحاب الاتجاه الحديث الذين رأوا فى توظيف التصوف رافداً فنياً داعماً لتجاربهم الشعرية.

للإعلان عن نفسه فى كل دروب النشاط الروحى " [١] .

والتعريف السابق يركز على فكرة الاتصال فى حالة الإشراق الروحى فى حالة تسمو على العقل الواعى واعتماد الذوق منهجاً لكشف الوجود الباطن المتحفز للفناء فى الإرادة الإلهية .

والتجربة بهذا المعنى تُحَدُّ بحدود العلاقة الروحية الخالصة فى أرقى صورها فى حالة الاتصال والكشف والفناء ،ولكن الجنيد يرى أن التصوف يقوم على "تصفية القلوب عن موافقة البرية ،ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ،ومجانبة الدواعى النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية ،واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع الرسول ﷺ فى الشريعة "[٢] .

والتجربة علىهذا النحو منهج متكامل فى الأخلاق ،والحقائق ، والسلوك، تسمو بالفرد فى شتى دروب الحياة الروحية والعلمية والاجتماعية ؛لتؤسس علاقات ترتقى بصاحبها إلى منزلة روحية تترجم الحقائق إلى سلوك، لتجعل من الإنسان عبداً ربانياً .

والتعريفان السابقان يمثلان التصوف بمعناه الدينى أو السلوكى الأخلاقى الذى اصطلح عليه بالتصوف السنى، أما التصوف باعتباره نظرة فلسفية وفكرية فيقول عنه البرت أشفيتزر " :" إن كل نظرة فى الحياة والعالم ترضى الفكر هى تصوف " [٣] .

---

(١) د.أبو العلا عفيفى :التصوف الثورة الروحية فى الإسلام ،دار المعارف ط ١،١٩٦٣ ص١٧،١٨، ويمكن القول :بأن الحال يمثل قسما مهماً من التصوف ولكنه لا ينفرد بهذه الأهمية لأن للمقامات أهمية كبرى ،لما تقوم به من تصفية للنفس ،وتهذيب للإرادة وتهيئة السالك لتلّقى الأحوال نفسها. وهما معاً يمثلان ركنى التجربة الصوفية .

(٢) الموسوعة العربية الميسرة :مادة التصوف بإشراف محمد شفيق غربال ،المجلد الأول، أ.س دار الجيل ص٥٢٥ .

(٣) البرت اشفيتزر :فلسفة الحضارة :ترجمة د. عبد الرحمن بدوى القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٦٩.